الشمـــلة

للأديب الفرنسي أندريه سوردا

بقلم الأستاذ حسن نديم

سألني صاحبي : أتعرف الشاعر المسمى «الفريد ديزتال» ؟

فأجبته قائلا : لم أقابله غير مرة واحدة وأذكر أنه تحدث عن روسيا بمزيج شيق من البساطة والغموض . كان يترافص حول قصصه ضباب خفيف يضفي على الأشخاص الذين يصورهم هالة مطلقة ، ويجعلهم خلقا آخر يسمو على دنيا الناس ، حتى صوته فقد كان غريبا في نبراته وكأنه ينطلق من وراء حجب . أجل ، لم أره سوى مرة واحدة ؛ غير أني أحببته منها أكثر مما أحببت كثيرا من الناس الذين عرفتهم طوال حياتي . لقد علمت بوفاته بعد هذا اللقاء القصير بزمن قليل ، فأسفت أشد

السيارة بإحدى الأشجار ...

لم يجدوا إنسانا يطالب بنقوده أو حتى يرث كوخه الموحش المقفر حيث تقفز الفيران لاهية على فراشه !

عبس فتحي خليل

الأسف ، لكنني لم أعجب لموته ، فلم يكن يبدو عليه سيما الأحياء ولا أنه من أهل دنيانا . ومنذ ذلك العهد طالما قابلت خلال أسفاري في الأقطار المختلفة أصدقاء لريزتال رجالا ونساء ، ملأ حياتهم ، وصاغ نفوسهم ، فأصبحوا اليوم بفضله أرق عاطفة وأرهف حسا من سائر الخلق

قال صاحبي : إني جد مغتبط لما تقول ؛ لأني كنت صديقا لريزتال . لقد حظيت بمثلك لقائه ذات يوم ولساعة من الزمان فلم أستطع بعدها نسيانه ، ثم مر بيلدق منذ أعوام ثلاثة ، فذكرني وكتب إلي ، وحل ضيفا بداري يوما كاملا . كان ذلك في مقتبل الخريف والجو ما زال باردا ، ولما كنت أقطن سفح جبل عال فقد عانى ريزتال وهو القليل التجلد أشد العناء . إذ لم يكن قد أتى معه بأثواب ثقيلة تقيه عنه غائلة البرد ، فسألني والبسمة تعلو شفتيه هل لك أن تعيرني معطفا ؟ وأنا كما ترى أضخم منه وأطول . فذهبت من

نورى أبحث عن شملة سمراء اعتدت أن أرتديها كلما خرجت شتاء للصيد . أراني ريزنتال وهو جذلان مطروب أنه استطاع أن يلتف بالشملة نفسها فينعم بمزيد من الدفء . وهكذا نسى له أن يتريض معى طويلا بين الروج والشجر

طاب له المقام عندى ذلك اليوم ، ففى خلال النهار رافقه منزلى وحديقتى والجبال المطلة عليها . وفى المساء لذ له الاصطلاء بنار الخشب المستعرة فى مدفأتى ، فقرر أن يقضى معى يوما آخر . ونشر الشملة فوق الفراش ونام ليلته . وفى الصباح اشتمل بها كلباس منزلى ، حتى إذا أقبل المساء أخبرنى أنه لا يبغى الرحيل فى الغد ، وصادف ما ارتآه هوموقعامن نفسى ، فلم أكن أتمنى أكثر من أن أحتجز عندى هذا المخلوق الغريب أطول مدة ممكنة . وهكذا مرت الأيام تترى يوما فى إثر يوم ، حتى قضى أسبوعين كاملين كان خلالهما مدثرا بشملتى . ثم سافر بعد أن ترك لى قصيدة فى ذكرى إقامته ، وبعد بضعة أشهر نبئت بوفاته

وحل الخريف التالى ، فحظيت بزيارة أخرى لكاتب فرنسى يعجبنى أسلوبه المصقول الشفاف . كانت صلتى به إذ ذاك لاتعدو المعرفة العابرة ، وعن له فى طريقه إلى فينا أن يقضى فى بلدتى الصغيرة يوما واحدا . لقد جرى حديثنا خلال الغداء غمسيرا جافا ، وخيل إلى أن الألفة التى كنت أنشد توثيق عراها بينى وبينه تعثر وتتداعى ، وأننا جد مختلفين كل منا عن الآخر ، وأيقنت آسفا أننا سنفترق دون أن يخلف أحدنا فى نفس الآخر أثرا باقيا

وفرغنا من تناول الغداء ، فمشينا تحت الشجر المصفر نتريض ، ثم شكا برودة الجو . وهنالك أبحث له عن شملة ريزنتال

إن ما حدث بعدئذ لغريب يثير الدهش والعجب ، فما إن وضع صاحبى الشملة على كتفيه حتى استحال شخصا آخر . بعثت روحه التى خلقت صماء محدودة الأفق وهى تسربلت بها بشعور من الشعور الحزين فرقت حاشيته وانطلق لسانه بما يجيش فى نفسه . وما جن الليل حتى توطدت بيننا أواصر الصداقة ، وأنس كل منا إلى صحبة رفيقه ، وكما فعل ريزنتال من قبل ، وقضى ضيف الخريف عندى — وقد أتى ليوم واحد — أسبوعين كاملين

وبعد ، فقد أصبحت يا صاحبى أعتز كثيرا بهذه الشملة السمراء ، وأسند إليها — وإن كنت لا أعتقد كثيرا فى هذه الأمور — قوة روحية خيرة . ففى غضون الشتاء التالى تعشقت فتاة تسوية رائعة الحسن تدعى « انجبورج » ، تنحدر من

أسرة عريقة أناخ عليها الدهر ، مما ألجأها إلى أن تصيب قوتها بالعمل لدى أحد الناشرين .

عرضت عليها الزواج بي ، غير أنها كانت كمعظم الفتيات اللاتى نشأن بعد الحرب تتشبث بالحياة الحرة الخالية من كل قيد ، وأجابتني — وهي تحرص على أن تشعرني بأنني إلى نفسها قريب — قائلة : إنها لا تطيق مجرد فكرة الارتباط بوثاق الزواج . كنت لا أملك نفسي من الألم كلما شاهدتها طليقة في مدينة كبيرة ، وشاهدت حولها نفرا من الذين ليس لهم من ضميرهم وازع ، ولبثنا عدة أشهر مضنية على تلك الحال .

وفي نشوة الربيع رضيت انجبورج ان تزورني في منزلي بوينزلاند ، وخرجنا إلى الحديقة بعد العشاء في أول أمسية من إقامتها عندي فقلت لها : هل لك أن تصغي معي جميلا ، فتسمحي لي أن أضع على كتفيك شملتي بدلا من معطفك ؟ إني أعلم أنك لا تقيمين للعواطف وزنا ، ولابد أن تبدو لك مثل هذه الرغبة سخيفة ، ولكن ماذا يضيرك ؟ هذه أول أمسية تقضيها عندي ، فاستجيبي لرجائي من أجلي ناشدتك الله !

فضحكت ساخرة مني في كثير من الفتنة والدلال ، ثم قبلت أن تشتمل شملتي

أمسك صاحبي عن الكلام بغتة ، فقد كان يتهادى نحونا من نهاية المشى في غسق الليل شخص رائع الحسن عليه شملة سمراء

ثم قال لي : هلا عرفت زوجتي ؟

حسن شريم

وحي الرسالة
في ثلاثة أجزاء

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحات كل مجلد خمسمائة صفحة ونيفاً وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل جزء أربعون قرشاً عدا أجرة البريد